

## أسلوبية الحجاج اللغوي والبلاغي في مقالات عباس محمود العقاد من خلال كتابه "يسألونك" - دراسة تداولية-

### The linguistic and rhetorical style of argumentation in Abbas Mahmoud Al-Akkad's articles through his book "Ask you" - pragmatics Study

هشام ففلول<sup>1\*</sup> ، المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، (الجزائر)، hichemfelfoul2@gmail.com

شفيقة العلوي<sup>2</sup>، المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، (الجزائر)، chalaloui@gmail.com

تاريخ إرسال المقال: 29-04-2021 تاريخ قبول المقال: 15-05-2021

#### الملخص:

يُعتبر الحجاج في اللغة ظاهرة لغوية نجدها في كل قول أو خطاب، وهو عملية واعية يقصد من خلالها المخاطب تحقيق أهداف معينة نابعة من عقله وعاطفته يبتغي بها تغيير اعتقاد ومواقف وسلوكيات المخاطب، ويهدف هذا البحث إلى تفسير وتحليل ظاهرة الحجاج وتطبيقها على بعض مقالات "العقاد" من خلال كتابه "يسألونك" ليتوصل الباحث من خلاله إلى غنى المقالات بمختلف الحجج المتنوعة عبر الآليات البلاغية واللغوية، باعتبار أنّ العقاد حاول تقديم أجوبة بنّاءة ردّ بها عن تساؤلات المتلقي بأسلوب مقنع ومُنْبَت مجسد في صيغة المقال الذي لامس من خلاله تداوليته بفضل حاجبية خطابه. الكلمات المفتاحية: تواصل، أسلوبية الحجاج، يسألونك للعقاد، مقال وحجاج.

#### Abstract:

The argumentation in language is a linguistic phenomenon that we find in every speech, and it is a conscious process through which the addressee intends to achieve certain goals stemming from his mind and emotion, this research aims to explain and analyze this linguistic phenomenon and apply it to some articles of Akkad Through his book "They Ask You or yasaalounak", so that the researcher could reach its richness with the various arguments, considering that Al-Akkad tried to provide constructive answers in responses to the recipient's questions form of the article through which he touched his pragmatics' thanks to his argument.

**Key words :** communication, the style of the argumentation, they ask you for the Akkad, the article and the argumentation

\* هشام ففلول.

## مقدّمة:

يكتسي الحجاج أهميّة كبيرة في الحياة العادية؛ حيث يعتبر أحد الطُرق الأساسيّة في إيصال الأفكار وتحقيق المقاصد بين المتخاطبين؛ الأمر الذي جعله يحتل قسماً وافراً من الاهتمام في الدرس اللغوي الحديث، فبات يشكّل بذلك باباً رئيسياً من أبواب التداولية وأحد أركانها باعتباره يستند على التّواصل والتّفاعل بين طرفين من خلال إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، فالحجاج باعتباره آلية لغوية بلاغية يخضع ظاهرياً وباطنياً لقواعد شروط القول والتلقي شأنه في ذلك شأن التداولية؛ حيث تبرز فيه مكانة القصدية والتأثير؛ ومن ثمّ قيمة ومكانة أفعال الدّوات المخاطبة.

لقد انتبه الأدباء والشّعراء العرب إلى هذا النّوع من النّمط الخطابي من خلال مصنّفاتهم كما يتجلى ذلك في كتب المناظرات والخُطب والمقالات وغيرها، ولهذه الأسباب؛ أثر الباحث الخوض في هذا الموضوع من خلال محاولة الوقوف على أهم سماته وأنواعه بمنظور حدائثي متجدّد، وذلك من خلال مدوّنة نثرية حديثة لأحد الأدباء العرب المتميّزين المعاصرين؛ وهي كتاب "يسألونك" لصاحبه عبّاس محمود العقّاد الذي يحوي مجموعة من مقالات عديدة متنوّعة؛ فحاول الباحث من خلال ذلك قراءة بعضها بالاعتماد على آليات الحجاج اللغوي وكذا البلاغي لكونهما دعامتين بارزتين في الدّراسات الحجاجية الحديثة، فإلى أي مدى استطاع العقّاد التأثير في المتلقي عن طريق الحجاج؛ وبالتالي الدّفاع عن مختلف قضاياها؟، وما هي مختلف الآليات الحجاجية التي وظفها صاحب الكتاب في مقالاته؟

نتجت عن هذه الإشكالية العامة مجموعة من الفرضيات هي:

- يعتبر الحجاج آلية هامة وركناً أساسياً من أركان الدراسات التداولية.
- يساهم الحجاج في التأثير على المتلقي بفعل مجموع الأساليب التي يحتويها.
- توفرت مقالات العقاد على آليات المحاجة اللغوية والبلاغية.

وفقاً لذلك؛ حاول الباحث من خلال بحثه هذا الموسوم بـ "أسلوبية الحجاج اللغوي والبلاغي في مقالات عباس محمود العقاد من خلال كتابه "يسألونك" - دراسة تداولية- معرفة مدى قدرة النظريات اللسانية الحديثة (نظرية الحجاج) على التعامل مع الخطاب الأدبي الحديث والعكس صحيح، بالإضافة إلى الإحاطة بمبادئ النّظرية الحجاجية وتطبيقها على مقالات العقّاد خصوصاً وأنّ صاحبها حاول في كثير منها التفضيل بين متناقضين؛ لذا كان للباحث حظ الإطلاع على بعض خطية القيمة لفظاً ومعناً.

اعتمد الباحث في دراسته على المنهج التّداولي، والذي عمّد من خلاله تسليط الضّوء على كل ما استندت عليه نصوص المقال تداولياً؛ مع الاستعانة بأدوات الوصف والتحليل من خلال وصف الظواهر الحجاجية في المقالات، وتحليل الشواهد والأمثلة وفق الخطة الاجرائية للنظرية الحجاجية.

## المبحث الأول: الدلالة المعجمية والاصطلاحية للفظ الحجاج.

في محاولة لإدراك مفهوم الحجاج وأبعاده ومقتضياته والمفارقات فيه، لا بدّ من البدء أولاً بتعريفه من منطلق اللغة؛ ومن ثمّ تعريفه اصطلاحاً، وذلك حتى يتسنى معرفة خصائصه وأهميته خاصة في الحقل التداولي.

### المطلب الأول: الدلالة المعجمية واللغوية للحجاج.

للحجاج عدة تعاريف لغوية، منها ما ورد في "لسان العرب" لـ"ابن منظور" قوله: حاجته، أحاجه، حجاجاً ومُحاجّة حتى حجّته أي: غلبته بالحجج التي أدليت بها، والحجّة: البرهان...، وقال الأزهري: "الحجّة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وحاجّه محاجّة وحجاجاً نازعه الحجّة، وهو رجل محجاج أي جدل، والتجاجّ التخاصم"<sup>1</sup>، ويُعرّف "ابن فارس" الحجاج في كتابه "مقاييس اللغة" قائلاً: "يقال حاجبت فلانا أي غلبته بالحجّة والجمع حجج، والمصدر حجاج"<sup>2</sup>، أمّا "الشريف الجرجاني" فيعتبر الحجّة في كتابه "التعريفات" ما دلّ بها على صحّة الدّعى والحجّة والدليل واحد"<sup>3</sup>.

وبالتالي؛ نلاحظ من خلال تعريفات الحجاج اللغوية المختلفة اتفاتها على معنى التخاصم والتنازع، واستعمال الوسيلة المتمثلة في البرهان والدليل بغية الإقناع وإثبات الرأي.

أمّا في اللغة الفرنسية فوردت لفظة (Argumentation) في "قاموس Le grand robert": "الحجاج هو القيام باستعمال الحجج أو مجموعة من الحجج التي تهدف تحقيق نتيجة واحدة، وهو كذلك فنّ استعمال الحجج أو الاعتراض بها في منافسة ما"<sup>4</sup>، أمّا في الإنجليزية الحديثة فإنّ لفظة (Argument)، وحسب قاموس "كمبردج" Cambridge "فهي الحجّة التي تعلّل أو تبرر مساندتك أو معارضتك لفكرة ما"<sup>5</sup>.

### المطلب الثاني: الدلالة الاصطلاحية للفظ الحجاج:

يشغل الحجاج ميدانا واسعا للبحث والدراسة والتحليل في الدراسات اللغوية حيث نجده متناسقا في الدراسات الفلسفية والمنطقية والبلاغية التقليدية وفي الأبحاث القانونية والمقاربات اللسانية والخطابية المعاصرة<sup>6</sup>، وفي مفهومه للحجاج يرى "طه عبد الرحمان" بأنّ الحجاج ذو فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي لأنّ طابعه الفكري ثقافي واجتماعي، وهو أيضا جدلي لأنّ هدفه إقناعي<sup>7</sup>، وهو ما اتجه إليه "عبد الهادي بن ظافر الشّهري" حين عرّف الحجاج بعد ربطه بالإقناع في قوله: "الحجاج هو الآلية الأبرز التي يستعمل المرسل اللغة فيها، وتتجسّد عبرها استراتيجيات الإقناع"<sup>8</sup>، أمّا "العزاوي" فقد اعتبر الحجاج بأنّه سلسلة تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، أو هو متتالية إنجازية لتسلسلات استنتاجية داخل الخطاب<sup>9</sup>؛ الأمر

أسلوبية الحجاج اللغوي والبلاغي في مقالات عبّاس محمود العقّاد من خلال كتابه "يسألونك" - دراسة تداولية-

الذي يجعله يقوم بدور هام في العملية التواصلية وبالتالي ضمان التواصل والخطاب والحوار بين المتخاطبين<sup>10</sup>.

إنّ الحجاج عملية اتصالية تفاعلية دعامتها الحجّة للإقناع والتأثير؛ لذلك فهو خطاب إقناعي يهدف به المخاطب للتأثير في المتلقي الذي يعتبر المحور الرئيس في الوظيفة الحجاجية، وتلك خصائص هامة سيتم بيانها تطبيقاً من خلال مقالات العقّاد؛ وما تحويه من تقنيات وآليات لغوية وبلاغية.

### المبحث الثاني: آليات وتقنيات الحجاج في مقالات العقّاد وكتابه "يسألونك"

لا تتأتى عملية الحجاج في الخطابات الأدبية إلاّ بتوظيف مجموعة من الوسائل الإقناعية التي يستعين بها المخاطب بغية استمالة جمهور المتلقين، وقد اعتمد "العقّاد" (1889م - 1964م) في مقالاته توظيف مجموعة من التقنيات حتّى يبرز خطاباته ويبرز حجاجيتها، ولا يدعي الباحث إحاطته بكل المظاهر الحجاجية في المدونة لأنّ ذلك يصعب لضيق المقام، ولكن ما هدّف إليه هو استخراج أهمّ هذه المظاهر فيها، وتأكيد الطابع الحجاجي لها.

### المطلب الأول: آليات الحجاج اللغوية في كتاب "يسألونك" أولاً:

لجأ العقّاد إلى الآليات الحجاجية اللغوية من خلال الروابط والعوامل الحجاجية وكذا السلم الحجاجي والأفعال الكلامية، وسوف يحاول هذا الجزء أن يكشف أسلوبية هذه الآليات حجاجياً من خلال مقامات العقّاد.

### أولاً: الروابط الحجاجية

تعدّ الروابط الحجاجية المؤشر البارز والدليل على أنّ الحجاج مؤشّر له في بنية اللّغة نفسها؛ "فعلية لا يمكن معرفة قيمة هذه الروابط إلاّ من خلال دورها في الربط الحجاجي بين قضيتين على أن تكون هاتين القضيتين حجاجاً وبينهما علاقة في الخطاب، فلكلّ قول دور محدّد داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة"<sup>11</sup>. تشمل اللّغة العربية على العديد من الروابط الحجاجية شأنها في ذلك شأن اللّغات الأخرى؛ بحيث يمكن أن نذكر منها مايلي: "بل، لكن، إذن، لاسيما، وحتّى، لأنّ، بما أنّ، إذا، الواو، الفاء، اللام، كي"<sup>12</sup>، ولقد ضمّن العقّاد في مقالاته مجموعة من الروابط نقصرها فيمايلي:

لقد كان للربط الحجاجي (الفاء) دوراً هاماً في الربط بين الحجج، ففي مقالته "حول الحرب والشعر" يكتب العقّاد فيقول: فإذا تعرّض الشعراء لموضوعات الخطباء والمسجّلين في الزمن القديم، فذلك شأن لا يدوم في زماننا هذا الذي تعدّدت فيه مطالب الخطابة ووسائل التدوين، فأصبح تضييع الشعر فيها من الفضول،

أو من صرف الشّيء في غير منصرفه<sup>13</sup>؛ حيث ورد الرابط الحجاجي (الفاء) في بداية النّص كاستئناف وتعقيب لما سبق ذكره؛ فربط الوارد في بداية القول مع ما يليه فكّون موضوعا واحدا هو بيان أهمية الشّعْر، وارتباط مواضيعه بالمكان والزّمان، فالعقّاد يؤكّد مقامية المقال وخصوصية الشّعْر في معالجته للأمر لدرجة أن اعتبره بمثابة سلاح يدافع به في الحرب، وهو ما أبرزه الرابط (الفاء) الذي ربط بين الأسباب للوصول إلى النتيجة، فشدّ بين الحجج المتتالية والمتعاقبة؛ فكان خطابه حجّة بالغة مرتبة مشتركة ومتقاربة دون تباطى أو تراخ، وذلك على غرار الرابط الحجاجي (الواو) الذي اعتمده العقّاد بكثرة في مقالاته، فرتبّ هو الآخر الحجج ووصل بعضها ببعض بل وقوى كل حجّة على الأخرى، وعمل على الربط النسقي أفقيا<sup>14</sup>، وهو ما يظهره قوله في مقاله "الطموح والتّمني": "ورأيي أنّ الطّموح تفسيرٌ وليس بتفسير، فالنّاس يشتهرون بألوف الأشياء، ويظهرون بين أقوامهم بكثير من المزايا التي تكفل لأصحابها الوجاهة، وارتفاع الصّوت والصّيّت، بالمال والنّصب والهيبة الدينية أو الدنيوية وبالعلم على اختلاف أبوابه وتعدّد مناحيه...، وكلهم طامح، وكلهم محقق لما تمناه من الطّموح"<sup>15</sup>، فالرّابط (الواو) قام بالوصل بين الحجج؛ فاشتركت كلّها في بيان طبيعة الطّموح وخصائصه، عبر أفقية الحجج لتقوية النتيجة المطروحة، محققا بذلك اتّساق النّص، وتلاحمه بما يخدم المتلقي.

إضافة إلى الرّابطين (الفاء) و(الواو)؛ هناك روابط حجاجية أخرى تقوم بالربط بين الحجج وتنسيقها، وتساهم من ناحية أخرى في توسيع أطراف الخطاب وبيان تداوليته على غرار الرابط (لكن) الذي يعتبر من روابط التعارض الحجاجي بين ما يتقدمها (لكن) من قول وما يتلوها، والملاحظ أنّ هذا الرابط قد ورد بكثرة في مقالات العقّاد، وذلك راجع - ربّما - لنفسية المنتج ونمط تفكيره اللذان يقومان على جدلية الرّأي وطرح القضية ونقيضها ممّا استوجب تواتر هذا الرّابط الحجاجي في فضاء النّصوص المطروحة. يقول العقّاد في مقاله "ذبح الفقراء لا يحلّ مشكل الفقر": وأنا لا أقول إنّ إزالة الفوارق الفردية بين الطبقات ترمي إلى تقييد حرية الفرد، ولكنّي أقول إنّ تقييد الحرية الفردية لإزالة هذه الفوارق نقمة لا يرحب بها رجل كريم، وأنا أدافع عن الديمقراطية لأنّها تؤمن بحرية الفرد.. ولكنّي أمقت المذاهب السياسية الأخرى لأنّها تسلب الحرية الفردية.."<sup>16</sup>؛ ففي هذا المثال نجد (لكن) قد عملت تعارضا حجاجيا بين ما تقدّمها وما تلاها، فالقول الأول يخدم نتيجة ضمنيّة مفادها أنّ الحرية الفردية مضمونة بالرغم من وجود الفوارق الفردية في المجتمع، أما القول الثاني فهو يخدم نتيجة مضادة للأولى من قبل أنّه لا يجب تقييد الحرية الفردية بغية إزالة فوارق المجتمع، ولعلّ الأمر ذاته يلاحظ على الرابط (لكن) الوارد ثانيا حينما فضّل العقّاد الديمقراطية وهي مذهب سياسيّ إلا أنّه من ناحية أخرى كره المذاهب السياسية في تناقض خدم النتيجة الأولى؛ وقوى الحجة الثانية التي هي نتيجة القول أو الخطاب؛ وعليه ربط الرابط الحجاجي (لكن) بين أحداث متقابلة فحوّلها كتلة لغوية

واحدة، ولمّا تضمّن الاستدراك إيضاح ما عليه ظاهر الكلام من إشكاليات وغموض عدّ من المحاسن في الخطاب، "لذا يتطلب الحجاجُ الاعتمادَ على الأدلة التي تخاطب الحسّ السليم والعقل القويم الذي يجد نفسه منقاداً إلى التسليم بها والقبول بمقتضياتها"<sup>17</sup>؛ وهو ما بينه الرابط (لكن) الذي عمل على توجيه المتلقي بما يخدم توجهات المرسل.

تُعتبر الأداة (بل) كذلك رابطاً هاماً من روابط الحجاج، وتأتي بمعناها الجمع للإضراب ومعناها الإضراب عن الأول والإيجاب للثاني، ولكن ما يهّمنا في الإضراب هو ذلك الانتقالي الذي يعتبر من النمط الحجاجي لأنّها تقيم علاقة حجاجية مركّبة من علاقيتين حجاجيتين ترتبطان بنتيجة<sup>18</sup>، ومثال ذلك قول "العقاد" في مقاله العلم أو الأدب: "ماذا أصابنا من الفن والأدب حتّى يقال: إنّنا قد شغلنا به عن العلم والاختراع؟، بل ماذا عندنا مما اخترعه الآخرون حتّى نبحث في اختراع جديد...أما إذا أغضينا عن أنفسنا ونظرنا إلى أحوال غيرنا، بل إلى الأحوال التي دعت إلى كتابة ما كتب في تفضيل السلاح على الشعر أو تفضيل القوة على الذوق فماذا نحن واجدون؟"<sup>19</sup>؛ حيث عبّر العقاد عن تدمّره من الذين ينظرون في غيرهم ولا يهتمون بأنفسهم، متسائلاً عن جدوى تساؤلهم وهم غارقون في همومهم ومشاكلهم، فجاءت حجّته في ذلك مركبة من علاقيتين حجاجيتين؛ علاقة بين الحجّة الأولى والتي وردت قبل الرابط (بل) وهي (تساؤل عن علاقة الفنّ بالاختراع وعلاقته بالعرب)، وعلاقة حجاجية ثانية وردت بعده وهي (أنّ العرب لا حاجة لهم في اختراع الآخرين)، فهذه النتيجة سارت في اتجاه مضاد للنتيجة السابقة، وأكدت مرّة أخرى عمق الصراع بين العلم والأدب عند العرب بفضل الرابط (بل) الذي ساهم في الاستمرارية النصّية، كما أفاد تقرير مضمون الحكم ما قبلها وتأكيد ما بعدها.

وظّف العقاد كذلك الرابط الحجاجي (لأنّ) معللاً النتيجة المطروحة، فقال في مقاله "ذبح الفقراء لا يحلّ مشكلة الفقر": "وقد استطاع النازيون وأمثالهم أن يديرُوا المصانع ويستخدموا الأيدي العاملة؛ لأنّهم أداروا المصانع جميعها على تحضير السّلاح وأدوات القتال"<sup>20</sup>؛ حيث ربطت (لأنّ) النتيجة والحجّة، ووردت بعد النتيجة وهي إحكام النازيين قبضتهم على القوّة والصناعة في العالم، وتواترت الحجتان بعد النتيجة وهي (حسن التسيير في تحضير السّلاح وأدوات القتال)، فجاءتا لتدعيم النتيجة المطروحة؛ وتبرير سبب تفوّق النّازيين في الحروب بفعل الرابط الحجاجي (لأنّ).

### ثانياً: العوامل الحجاجية

يرتبط مفهوم العامل الحجاجي بضرب من ضروب الحجاج، حيث أولت النّظرية الحجاجية أهميّة خاصّة للعوامل الحجاجية لما لها من دور في إبقاء بنية الجملة ملتحمة دون انفراط، ف"العامل يحمل على

المكونات داخل الفعل اللغوي فيبقى هذا الفعل ملتصقا<sup>21</sup>، وهو يضمّ أدوات عديدة من قبيل: كاد، ربما، وما... إلّا، إنّما<sup>22</sup>، وتتمّ عملية ارتباط الكلام بالعامل الحجاجي عندما يهدف المرسل تحريك آليات الإقناع عند المتلقي بتوظيف ميدان اللغة وعلاقتها ضمن البنية الاجتماعية أو الإيديولوجية، وهو ما بيّنه العقّاد في خطابه باعتباره خطابا ذا قصدية.

قال العقّاد في مقالته "العلم والأدب": "والآن قد ظهرت الدبابات الضخام، هل يستطيع قائل أن يقول إنّ قلّة الهندسة عند الفرنسيين والانجليز هي التي أقلت نصيبهم من تلك الدبابات الضخام.. كلاً! ليست قلّة الهندسة هي العلة، فالهندسة هنا كثير، وإنّما العلة فرصة الوقت... ولن تكون الهندسة هي الباعث على اغتنام الفرصة المنشودة، وإنّما هي البواعث النفسية التي أسلفنا الإشارة إليها وهي في الحرب والسلم أمضى سلاح<sup>23</sup>؛ حيث ساهمت (إنّما) باعتبارها عاملا حجاجيا وأداة قصر في الإثبات أكثر مما هي علاقة نفي فحملت بنية مرتبطة بذات المرسل<sup>24</sup>، فالعقّاد حاول من خلال كلامه أن يبيّن قصر العلم في السيطرة على القوة في العالم ودور الأثر النفسي دور في ذلك، وبهذا يكون العامل الحجاجي (إنّما) موجبا لإثبات ما بعده بحصره ونفي ما سواه، فهو قصر تعيين يردّ العقاد من خلاله على كل من تردّد في صدق خطابه، فجاء ليقتصر موصوف على صفة قصرا إضافيا"، وما عضد قوله هو توظيفه للضمير المنفصل الغائب المفرد (هي) الذي دلّ على ما قبله فزاد الفضاء النصي قوة وتأكيذا.

بالإضافة لذلك؛ استعمل العقّاد العامل الحجاجي (النفي والاستثناء) في توجيه القول إلى وجهة واحدة نحو ما يعتقد به أو يريد تنقيته، وهذا ما استثمره في محاولة منه للدفاع عن قضية معيّنة يعتقد بها، ويريد الآخر أن يقتنع بها<sup>25</sup>، ففي مقالته "الأدب والإصلاح" مستدلا يقول: "وإذا قيل لنا أنّ فلاناً يجمع المال لأنّه يخاف عاقبة الفقر، قلنا: ولماذا يخاف هذه العاقبة التي لا يخافها غيره، إنّّه لا يخالف غيره إلّا لاختلاف البواعث النفسية دون الاختلاف في الغايات.."<sup>26</sup>؛ حيث ورد العامل الحجاجي في هذا المقام بصيغة (لا... إلّا) توكيدا لأهمية جمع المال وهو قول سابق، فالعقّاد خصّ الصفة بالموصوف لأنه يؤكد عن أهمية المال وسبب جمعه، وهو بهذا يرد على الكاتب "رئيس يونان" الذي لم يفهم كلامه سابقا - حسبه - فجاء العامل في هذه السياق تأكيدا على رؤية العقاد، وتأثيرا على متلقيه حتى يعي كلامه ويفهمه دون تأويل محايد لقصده.

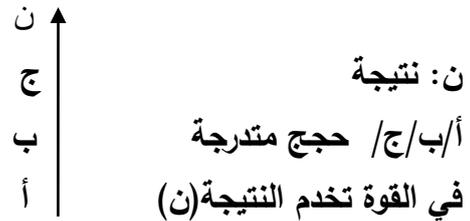
بالإضافة إلى هذه العوامل الحجاجية المختلفة، وظّف العقّاد العامل الحجاجي (ربّما) مثلما يوضحه المثال التالي من مقالته "حول الحرب والشعر": وبعد فخلصة القول في الحرب والشعر أنّ نصيب الحادث من الشعاعية لا يقاس بالضخامة ولا بحسب العدد، فربّ شاعر تناول حياة فرد واحد فصورّ منها فاجعة خالدة تعيش حين تنسى الحروب التي نشبت في زمانها، وربما مات فيها مئات الألوف<sup>27</sup>، حيث يبيّن

صاحب المقال في هذا المقام دور الشّعْر في الحياة مقارنة بالحرب وغيرها، وإذا حلّ القول السّابق حجاجيا فإنّه يتبين سيران الحجّة (ربّما مات فيها مئات الألوف) في الاتجاه نفسه مع الحجّة (مات فيها مئات الألوف)، وهما يخدمان نفس النّتيجة من مصاف أنّ بصمة الشّاعر في تصوير بطولة فرد تبقى خالدة لا تموت بالرّغم من مرور الزّمان.

إنّه ومن خلال ما سبق طرحه؛ يظهر أنّ توظيف العوامل الحجاجية ورد ضئيلاً في المقالات مقارنة بالروابط الحجاجية اعتباراً من أنّ العوامل لا تربط بين متغيرات حجاجية وإنّما تقيّد وتحصر إمكانات حجاجية في قول ما وهو ما لم يعمد إليه العقاد تاركاً المجال للمتلقّي لأجل التّأويل.

### ثالثاً: السّلم الحجاجي

يُعرّف السّلم الحجاجي في تعبير اللغويين بأنّه: "مجموعة غير فارغة من الأقوال مزوّدة بعلاقة ترتيبية"<sup>28</sup>، أو أنّه علاقة ترابطية للحجج متتابعة يمكن أن نرّمز لها بالمخطّط التالي:



يقوم السّلم الحجاجي على ترتيب الحجج عمودياً من الحجّة الضّعيفة إلى الحجّة القويّة في فئة حجاجيّة واحدة، ولعلّ اتّجاه التدرّج باتّجاه واحد ضمن فئة حجاجية واحدة هو الذي يقود إلى النتيجة بشكل غير غامض ضمن آليات لغوية يعتمدها المرسل في خطابه مع المتلقّي.

وظّف العقّاد في خطابه هذه الآلية فقال في مقالته "العلم أو الأدب؟": "فعد الانجليز والفرنسيين مهندسون كالمهندسين الذين عند الألمان، بل هم المهندسون السّابقون المتفوّقون في هذا الميدان، ولكن البواعث النّفسيّة هي التي جلست وراء هذا المهندس؛ فأوحت إلى الهندسة في أمة حاقدة ما لم توجه إلى الهندسة في أمة مطمئنة راضية، والبواعث النّفسيّة هي كلّ شيء؛ هي الحياة، وكلّ ما عدا ذلك فهو أدوات وآلات"<sup>29</sup>؛ حيث ينطلق العقاد في هذا المثال من مقارنة بسيطة صور من خلالها الفرق بين شعبين مخترعين متفوقين حربياً حتّى يلفت من خلالها انتباه المتلقّي شوقاً لتربق باقي أقواله، ليبين بعد ذلك طبيعة الشعب الذي تفوق حربياً، متحدّثاً بعدها عن أسباب ذلك ليصل في الأخير إلى نتيجة مفادها أنّ العلم دون أدب

كالجسد بلا روح، وقد تمّ ذلك وفق حجج مرتبة ترتيباً عمودياً، بدأ فيها بالحجة الضعيفة ثمّ الأقوى حتى وصل إلى أقوى حجّة، ويمكن أن نمثّل ذلك بالسلم الحجاجي التالي:

### ن: الأدب والأخلاق روح العلم

البواعث النفسية وأهميتها في الحياة

حديث عن أسباب التفوق الألماني في الهندسة الحربية والقتالية خاصة

مقارنة بين طرفين نابغين في العلم و الاختراعات (الفرنسيين والألمان)

ويمكن بيان ذلك أكثر من خلال ما أوضحه في مقالته "الطموح والتمني" مبيناً رأيه بخصوص موضوع طرح عليه في بداية المقال عن علاقة الأدب بقيادة الجيوش قائلاً حول ذلك: "الرّاحة الكبرى تنال على جسر من التّعّب كما قال أبو تمام، والسّهولة الكبرى في تعليل الحقائق تنال بعد خطوات من السّهولة العارضة على وجه الأمور، ولكنّها بعد اجتياز هذه الخطوات أسهل من كلّ سهل قريب لأنّ هذا السهل القريب لا يؤدي إلى شيء ولا يستريح الواقف لديه"<sup>30</sup>، فالعقّاد يصوّر في هذا السياق نمطا من أنماط النّجاح في الحياة مستدلاً في ذلك على قول أبي تمام ليعطي كلامه صدقية مبررة كحجّة أولى، ثمّ ليبين بعد ذلك انجلاء الصّعّب بخطوات الإرادة التي يبقى فيها الطّموح وسيلة والتمني غاية في صيغة حجّة ثانية، ثمّ يستدرك ذلك ويبين أنّ الأمنيات يجب أن لا تتوقّف حتى لا يضمحل الطّموح ويتلاشى، فالسهل القريب على حد قوله لا يكون إلاّ بالمزيد من الأمنيات التي يعقبها إرادة وعزيمة دائمة مستمرة وثقة بالنفس في صورة حجة أخيرة هي الأقوى في بناء السلم الحجاجي ويمكن تمثيل ذلك بمايلي:

### ن: الأمنيات قائد نحو الطموح

نشوء الثقة بالنفس بعد كل تحد

تحدي الصعاب يكمن في خطوات الطموح وبذرة التمني

استشهاد بقول شاعر حكيم في السياق

وبالتالي؛ وردت الحجج في السلم الحجاجي متدرّجة من القويّة للأقوى؛ بين من خلالها العقّاد رأيه بالحجّة الدامغة المبررة لأقواله ليكون لها تأثير على المتلقي بغية إقناعه واستمالاته.

### رابعا: الأفعال الكلامية

تعتبر نظرية أفعال الكلام من الموضوعات الأساسية للسانيات التداولية؛ ويرمي استعمال الفعل الكلامي إلى تغيير الواقع والتأثير فيه، "فاللغة ليست مجرد أداة للإخبار والوصف، بل وسيط لبناء الواقع والتأثير فيه وتحويله"<sup>31</sup>؛ ومن هنا فإنّ الفعل الكلامي يبنّي على أساس تواصلية بالتركيز على قصيدة المتكلم والتأثير في المتلقي حيث يمارس من خلالها تأثيراً على المستمع أو المخاطب<sup>32</sup>.

وإذا كان فضل السّبق في وضع نظرية الأفعال الكلامية يرجع إلى "أوستين" فإنّ تلميذه "سيرل" لعب الدور المهم في تطوير هذه النظرية وتحديد مصطلحاتها وضبط عام لنظرية الأفعال الكلامية<sup>33</sup>، وسنختار في هذا السياق تقسيم "سيرل" الذي يمثّل نضج نظرية الفعل الكلامي، والقائم على الأقسام الخمسة التالية:

**أ- أفعال الإثبات الإخباريات:** يتمثّل غرضها الإنجازي في نقل واقعة ما من طرف المتكلم بدرجات متفاوتة بواسطة قضية أو قضايا متعددة<sup>34</sup>، وتُدْرَج في هذا الصنف كلّ الأفعال الدّالة على الوصف والإخبار والتقرير والإثبات، أما القوّة الانجازية غير المباشرة المستلزمة مقامياً لهذه الأفعال فهي متعدّدة منها: المدح والذّم والتعظيم والتثناء والوعد والوعيد والتّناء والفخر... الخ، ومن ضمن ما ورد في ذلك من المدونة قول العقّاد في مقالته "حول الحرب والشعر" حينما قال: "ونقول حتّى في الزّمن القديم لأنّ للزّمن القديم في هذا حُكماً يخالف حكم الزّمن الحديث"<sup>35</sup>، حيث يتمثّل غرضه الإنجازي في التقرير والإثبات، أما قوله في مقالته "الطموح والتّمني": "إنّما تتال الكرامات والأسرار بالإعراض عن المظاهر والرّهد في الحفاوة، وأن ننذر أنفسنا للفاقة والشظف والحرمان، ونجنبها غواية الزهو والتّرف والإعلان"<sup>36</sup>؛ حيث أنّ غرض الأفعال الانجازي هو النّصح والإرشاد؛ أما قوله في مقالته "ذبح الفقراء لا يحل مشكلة الفقر: "فالحرب الحاضرة وما جلبته على النّاس من الكرب والألم والضيق والغلاء هي ثمرة العِلاج الذي دبره النّازيون والشّيوخيون والفاشيون لمشكلة البطالة وأزمة الأرزاق"<sup>37</sup>؛ فيظهر فيه ألمّ وضيق، وبالتالي فالغرض الانجازي لهذه الأفعال هو الوصف والإثبات من جهة، والحسرة والألم من جهة أخرى.

**ب - أفعال التوجيه أو الطلبيات:** ويوظفها المتكلمون أو المخاطبون ليجعلوا شخصا آخر يقوم بشيء ما<sup>38</sup>، ويضمّ هذا الصّنف مجموعات كبيرة من الأفعال الكلامية التي تختلف من حيث قوتها الإنجازية باختلاف السياق الذي يتمّ فيه الخطاب، وبحسب طبيعة العلاقة بين المتكلم والسّامع، وتتخذ أشكال أوامر وتعليمات وطلبات ونواه ومقترحات، وتمثّلها في ذلك صيغ الاستفهام والأمر والتّهيى والرّجاء والنّصح والدّعوة والإذن والسؤال والتّحدي... الخ<sup>39</sup>، والملاحظ أنّ هذا النّوع من الأفعال يتمركز بكثرة في المقالات؛ ففي مقالة "العلم أو الأدب؟" يقول العقّاد: "وماذا أصبنا من الفنّ والأدب حتّى يُقال إنّنا قد شغلنا به عن العلم والاختراع؟"<sup>40</sup>؛ حيث ورد الفعل الكلامي استفهاماً غرضه الإنجازي هو الحسرة والأسف، أما في قوله: "إلى الشّباب المصري الذي يريد الأدب، ويتعلق بالقصص ويحبّ الشّعْر، نقول: استيقظ لقد دقّت ساعة الحقائق فانصرف إلى العلم بكلّ قوّتك"<sup>41</sup>؛ فهناك فعل أمر غرضه الإنجازي هو النّصح والتوجيه، كما تظهر التّوجيهيات كذلك في مقالته "الأدب والإصلاح" حينما قال متسائلاً: "لماذا لا نقول أنّ روح المغامرة إذا تحرّرت من هموم العيش وأعباء الثّروات فسوف تكتشف لنفسها ميادين وآفاقاً جديدة هي أجدر بعواطف الإنسان؟"<sup>42</sup>؛ حيث أدّى الفعل الاستفهامي غرض التحدي، والظاهر أنّ حضور أفعال الاستفهام قد هيمن

على جلّ مقالات العقاد انسجاماً في ذلك مع العنوان الرئيس للكتاب الذي يهدف في محتواه إلى محاكاة الآخر، والإجابة عن مجموع تساؤلات بحجة دامغة وقوية.

ج - أفعال الوعد أو الإلزاميات: وهي أنواع أفعال الكلام التي يستعملها المتكلمون ليلزموا أنفسهم بفعل مستقبلي باعتبارها تعبيراً عما ينويه المتكلم، في صورة وعود وتهديدات وتعهّدات<sup>43</sup>؛ إلاّ أنّ السمة المميّزة لهذا النوع من الأفعال عن سابقها أنّها لا تبتغي التأثير في السامع<sup>44</sup>، هذا وتمثّل الأفعال الكلامية الإلزامية في مقالات العقاد في أفعال الوعد والضمان، وقد تحققت بشكل ضمني في مقالاته التي التزم فيها بالإجابة عن كل التساؤلات التي طرحت عليه في بداية كل مقال مثلما ظهر في مقالته "الطموح والتمني" عندما افتتحها بقوله: "أرسل إليّ أديب يسألني وجهة نظره في رأيه هذا...<sup>45</sup>"، أو قوله في مقالته "ذبح الفقراء لا يحلّ مشكلة الفقر حينما كتب: "كتب أحد الأديباء يروي عني أنّي قلت له...، ثمّ سأل الأديب...<sup>46</sup>"، وبالتالي تحقّق هذا الفعل من التزام العقاد بالإجابة عن كل التساؤلات التي طرحت عليه في بداية مقالاته.

د - أفعال الإفصاح أو التعبيرات: إنّ الغرض الإنجازي لهذا النوع من الأفعال هو التعبير عن الحالة النفسية تجاه الواقعة التي تعبر عنها القضية، ويسند المحتوى فيها إمّا إلى المتكلم أو المخاطب، فليس من اللازم أن تقتصر هذه الأفعال على ما هو خاص بالمتكلم من أحداث، بل تتعداه إلى ما يحدث للمشاركين في الفعل<sup>47</sup>، وتندرج ضمن هذا النوع من الأفعال كل أفعال الشكر والاعتذار والتعزية والمواساة والحسرة والتمني والشوق والحزن والترحيب...<sup>48</sup>، لذلك أفادت أفعال (ويح، بقيت صرخة) في مقالته "العلم والأدب"، أو أفعال (أطمح وحفزتي، إثبات نفس) في مقالته "الطموح والتمني"، وكذا أفعال (تؤمن، أمقت، كفاح) في مقالته "ذبح الفقراء لا يحلّ مشكلة الفقر"؛ -أفادت- التعبير عن حالة نفسية شعورية كامنة في ذات نفس بشرية اتخذ منها العقاد وسيلة لتحقيق غرض أفعال إنجازيه دلت في مجموعها على الحسرة والأسى والكره.

هـ - أفعال التصريح أو الإعلانات: وهي أفعال تهدف إلى إحداث تغيير في الوضع القائم بمجرد التلطف بها<sup>49</sup>، مثل: أفعال الإعلان؛ أفعال البيع والشراء، والزواج، والطلاق، والوصية والتوكيل، والشهادة، والإهداء، والإنذار... الخ، وشرط وقوع هذه الأفعال أن تدلّ على المضارع أو الحاضر والمستقبل لفظاً ومعنى، واستخدامها ضمير المتكلم مسنداً إليه في غالب الأحيان وهي نادرة الاستعمال عادة، وترد الأفعال الكلامية الإعلانية عادة مباشرة وذلك لتجنب اللبس والغموض وضياح الحقوق<sup>50</sup>، ومن أمثلتها في المقالات رأيه في مقالته "الأدب والإصلاح": "رأبي في هذا الموضوع الذي يستحقّ التوضيح...<sup>51</sup> أو إعلانه في مقالته "ذبح الفقراء لا يحلّ مشكلة الفقر": "أنا أدافع عن الديمقراطية لأنّها تؤمن بحرية الفرد...<sup>52</sup>"، لذا فالغرض الإنجازي من هذا الفعل هو إحداث تغيير في العالم عبر الإعلانات بالاستناد إلى مؤسسة غير لغوية؛ إلاّ

أنّ الملاحظ في المقالات هو قلّة توظيف الاعلانيات؛ وذلك تبعاً لغرض الخطاب وقصديته؛ بخلاف تركيزه على أفعال الإخباريات فالتوجيهيات ثمّ الإلزاميات، وذلك لأنّ سياق الموقف وخاصة فنّ المقال يفرضان ذلك

**خامساً: تقنيّة التكرار**

يُعتبر التكرار من أهم الأساليب الحجاجية التي يقدّمها المتكلم لفائدة أطروحة ما وذلك من أجل جلب انتباه المتلقي بشكل فعال، "لذلك فإنّ تكرار الزايط الحجاجي وكذا مفردات بعينها والذي ساهم في جعل النصّ منسجماً بنائياً وإنّ تداولياً وحجاجياً، هو ذلك التكرار الذي يسمح بتوليد بنيات لغوية جديدة باعتباره أحد ميكانيزمات عملية إنتاج الكلام، وهو الذي يضمن انسجام النصّ وتتاميه"<sup>53</sup>، ويزيد من تنبيه السامع والمتلقي للخطاب<sup>54</sup>، وفي هذا الإطار حاول العقّاد أن يصنع من التكرار إجابات لعدد الأسئلة، فوظّف التكرار لتأكيد رأيه ودحض آخر، وهو يشمل عناصر عديدة منها:

أ- تكرار ضمائر الغائب المفرد خاصة الضميرين المنفصلين (هو، هي) وذلك للتأكيد على المكرر ولفت انتباه المتلقي إلى الموضوع المعالج؛ مثل قوله في مقاله "العلم أو الأدب": "ولكنّ البواعث النفسية هي... والبواعث النفسية هي كلُّ شيء، هي الحياة..."<sup>55</sup>، أو قوله في مقاله "ذبح الفقراء لا يحل مشكلة الفقر": "وهل هذا هو العمل... فكفاح البطالة على هذا المنوال هو... وهو الدواء الذي..."<sup>56</sup>؛ حيث ساهم تكرار الضمير في التأكيد على المؤكد، وبالتالي تأمين لبس القارئ.

ب- تكرار إسم الإشارة (هذا) خاصّة على غرار قوله في "مقالته العلم أو الأدب": "ماذا نجني من هذا وذاك ونحن فقراء في هذا وذاك"<sup>57</sup>، أو قوله في مقاله "حول الحرب والشعر": "فهذا ملتون كان أشعر أبناء عصره من الإنجليز وهذا فكتور إيغو كان أشعر أبناء عصره من الفرنسيين"<sup>58</sup>، حيث ساهم تكرار اسم الإشارة (هذا) الدال على القرب الزماني والمكاني في أخذ الأمور على محمل الجدّ وتقريب البعيد إلى مخيلة المتلقي، وبهذا يكون حجة عليه في فهم وإدراك ما يتلقى.

ج- تكرار أدوات التوكيد مثل (إنّ) في "مقالته ذبح الفقراء لا يحلّ مشكلة الفقر": "لأني لا أقول، إنّ الحرية... ولكني أقول أنّ المذهب السياسي أو الاجتماعي... وأنا لا أقول إنّ إزالة الفوراق الاقتصادية... ولكني أقول إنّ تقييد الحرية الفردية... وأنا أدافع عن الديمقراطية لأنها تؤمن بحرية الفرد"<sup>59</sup>، أو قوله في مقاله "الأدب والإصلاح": "وكأننا إذا قلنا: إنّ الفقر داء اجتماعي... وكأنهم إذا قالوا: إنّ مسألة وليس بداء، فرجوا أزمة الفقر"<sup>60</sup>؛ حيث ساهم تكرار (إنّ) في إثبات الخبر وتقريبه للمتلقي تقريبا يبعد عنه أيّ تأويل.

كان ل(قد) التحقيقية والتأكيدية نصيبٌ من التكرار في المقالات العقّادية، وهو ما نجده في أغلبها على غرار ما بيّنه قوله في مقاله "حول الحرب والشعر": "وقد حضّر الثورات والحروب شعراء... وهذا فكتور هُوجو

كان أشعر أبناء عصره من الفرنسيين وقد حضر... ولقد شغلت الحرب الماضية أقطار العالم قاطبة<sup>61</sup>، أوحى قوله في مقالته "ذبح الفقراء لا يحل مشكلة الفقر": "والدجالون أعداء الديمقراطية قد لبثوا...، لقد هبط عدد العاطلين عن العمل، وانظر مرة أخرى لقد هبط العدد، وانظر مرة أخرى لقد خلص الوطن من العاطلين أجمعين"<sup>62</sup>؛ حيث أفادت (قد) التأكيد على القول السابق، وهو ما يستدعي من المتلقي تأملاً وتمحصاً<sup>63</sup>.

د- تكرر ألفاظ بعينها نحو: ألفاظ "الشعر والشعراء وشاعر ومهندس وهندسة" وذلك في مقالته "حول الحرب والشعر"، وكذا تكرر ألفاظ مثل "الطامح والطموح في مقالته "الطموح والتمني"، أو تكرر لفظي "حرية وكرامة" في مقالته "ذبح الفقراء لا يحل مشكلة الفقر"؛ حيث إنّ الألفاظ المكررة ارتبطت في كلّ مرة بالسياق وبالموضوع المعالج، وهو ما يدل على أنّ تكرر تلك الألفاظ هو مقصد من العقاد من أجل التأكيد على الفكرة ومحاولة إثباتها في ذهن المتلقي.

ه- تكرر الفعل (قال) و(أقول) بزمنيته، وهو ما يشير إلى تلك الإجابات التي كان يردها العقاد على سائله مثلما يبيّنه عنوان كتاب المقالات "يسألونك"، فالآخر يسأل والعقاد يجيب، وهو ما يؤكّد تداولية خطابه بالدرجة القصوى التي يظهر من خلالها تحاورا بين المتكلم والمتلقي.

و- تكرر صيغ تركيبية معينة نحو: صيغ الاستفهام خاصة في كل مقالاته تقريبا على غرار مقالته "العلم والأدب"، وتكرر صيغ (هل؟ فما معنى، ماذا)<sup>64</sup>، أو مقالته "حول الحرب والشعر"؛ (فماذا، أليس)<sup>65</sup>، وكذا مقالته "الطموح والتمني" وتكرر الصيغ (ماهي، وما؟)<sup>66</sup>؛ وهو ما يؤكد المتلازمة الدلالية التي طبعت العنوان الرئيس لكل مقالات العقاد تقريبا؛ ليكون التكرار بذلك أبرز أساليب الحجاج اللغوية المساهمة في الإفهام والإفصاح وتقرير المعنى وإثباته، وبالتالي تدعيم تداولية مقالات العقاد.

### المطلب الثاني: آليات الحجاج البلاغية في كتاب يسألونك:

تعتبر البلاغة ذات صلة وثيقة بالحجاج حيث إنّ معظم الأساليب البلاغية لها أغراضا تواصلية وتتجزأ مقاصد حجاجية، وتفيد أبعادا تداولية<sup>67</sup>، ومن بين هذه الأدوات البلاغية التي تمّ بها تفعيل الحجاج في الدرس التداولي نجد الاستعارة والتشبيه والبديع... الخ.

### أولا: الاستعارة الحجاجية

هي إحدى آليات الحجاج البلاغية، والاستعارة كما يعرفها الجرجاني هي "أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروفا تدل عليه الشواهد على أنّه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل"<sup>68</sup>، كما تعتبر الاستعارة الحجاجية هي تلك التي تهدف إلى إحداث تغيير في

الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقى<sup>69</sup>، خاصة وإذا علمنا أنّ القول الاستعاري يتميّز بقدرة على التأثير في المتلقي وبقوة حجاجية عالية<sup>70</sup>.

ومن أمثلة ورودها ما أشار إليه العقّاد في مقالته "العلم والأب" حينما قال: "لكنّ البواعث النفسية هي التي جلست وراء المهندس، فأوحت إلى الهندسة في أمة حاقدة مالم توحه الهندسة في أمة مطمئنة"<sup>71</sup>، أو مقالته "ذبح الفقراء لا يحل مشكلة الفقر" حينما قال: "ثم أفاق العالم من ذهوله على إضعاف أولئك العاطلين مقتولين ومجروحين ومشوهين"<sup>72</sup>؛ حيث أخرج الكاتب في كلا التعبيرين الوحدة اللغوية من منطقة الدلالة المجردة إلى الصورة المحسوسة المتخيلة، فأكسب الصورة الصامتة والجامدة قوة الحركة والحيوية، فظهرت الكلمات منزاحة والصّور مضخمة ومفخّمة<sup>73</sup>.

**ثانياً - التشبيه:** يُعرّف التشبيه بأنه: "الدّالة على مشاركة أمر لآخر في معنى"<sup>74</sup>، وهذا يعني أنّ المتشابهين ليسا بالضرورة متطابقين في كلّ شيء، وهو ما يجعل منه تقنية إقناعية في كثير من المحاجات<sup>75</sup>، وفي ذلك أشار "السيوطي" إلى أنّه "بحسن اللفظ واختلافها على المعنى الواحد، ترصّع المعاني في القلوب، وتلتصق بالصّدور، ويزيد حسنه وحلاوته وطلاوته بضرب الأمثلة والتشبيهات المجازية"<sup>76</sup>، ومن أمثلة التشبيه في مقالات العقّاد قوله في "الأدب والإصلاح": "وكأننا إذا قلنا، إنّ الفقر داءٌ اجتماعيٌّ يعالج كما تعالج الأدواء الاجتماعية خرجنا به من طريق العلاج...وكأنهم إذا قالوا: إنّّه مسألة وليس بداء فرجوا أزمة الفقر أو اقتربوا بها من التفريج"<sup>77</sup>، أو قوله في مقالته "العلم أو الأدب" حينما قال: "هل النفس البشرية صهريجٌ من المعدن يزيد فيه من العلم بمقدار ما ينقص من الأدب، هل العلم والأدب ضربتان تلقى إحداها من الحظوة والزلفى بمقدار ما تلقى صاحبتهما من الإعراض والهجر؟"<sup>78</sup>؛ حيث يتبين أنّ من خلال القول أنّ التشبيه التشبيه الموظّف ساهم في حجاجية القول، وتفعيل النفس حتى تتأثّر وتهتز بما يقوله المرسل<sup>79</sup>.

**ثالثاً: الكناية:** الكناية لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى<sup>80</sup>، ويتمّ توظيفها حتّى يتم الوصول بسهولة إلى إفهام السّامع بغية إقناعه، ومن أمثلة ذلك في مقالات العقّاد قوله في مقالته "العلم أو الأدب": "هل يستطيع قائل أن يقول: "إنّ قلّة الهندسة عند الفرنسيين والانجليز هي التي أقلت نصيبهم من تلك الدبابات الضخام...على نحو ما يقولون: إنّ الحديد يفله الحديد..."<sup>81</sup>، أو قوله في مقالته "الطمّوح والتمني": "قلو كانت المسألة طموحا وتطلعا إلى الحفاوة لكان الأولى بي أن أطمح إلى جمع المال، والتوسع في التجارة...حتى قيل: "إنّ اسم الإقليم مستمد من اسم السوق"<sup>82</sup>؛ حيث تمّ الاستدلال بقول الكناية التي زادت المعنى قوة، فأزلت الإبهام عن السّامع أو المتلقي.

### رابعاً: الطّباق والمقابلة

يمكن للمحسنات البديعية أن تؤدي وظيفة حجاجية إبلاغية، حيث إنّ المحسن البديعي يكون حجاجياً إذا أدى دوره في تغيير زاوية النظر لدى المخاطب<sup>83</sup>، لذلك وظّف العقّاد هذه المحسنات كآلية حجاجية إقناعية، وسيتمّ الاقتصار على الطّباق والمقابلة باعتبار دورهما الهام في ذلك. ومن أمثلة الطّباق في مقالات العقّاد قوله في مقالته "العلم أو الأدب": "سألني أديب عن رأيي في خسارة العالم بفقد أديسون وماركوني، وخسارته بفقد شكسبير وبرانانتشو"<sup>84</sup>؛ حيث طابقت العقّاد بين العلم والأدب، وقال أيضاً في مقالته "الطمّوح والتمني": "فليست المسألة يا صاحبي مسألة طمّوح وظهور ولكنها مسألة شوق باطني"<sup>85</sup>، فطابق هنا بين الظهور والاختفاء، فجمع بين الضدين في تركيب متناسق مفيد، وهنا يكمن الدور الحجاجي للطّباق ليس لكونه محسناً بديعياً، بل لأنّ في ذلك استدعاءً لتركيز المتلقي حتى يفهم المعنى المراد ويتبيّن المقصود.

أمّا المقابلة فقد مدّت المتلقي باحتمالات الخطاب حتّى يتبيّن جميعاً، ويميّز بينها ثمّ يختار منها ما يتوافق وقناعته، ومن ضمن ما ورد في ذلك قول العقّاد في مقالته "الطمّوح والتمني": "كلّ دين من أديان الكتب المنزلة يؤمن بالصراع بين الملائكة والشياطين، وبال حرب الدائمة بين جنود الله وجنود إبليس"<sup>86</sup>، وقوله أيضاً في مقالته "الأدب والإصلاح": "إنّ الدعوة الاشتراكية... ترى أنّ الحياة الصالحة هي الحياة التي يقلّ فيها جهد العمل وتكثر فيها فرص المتعة بالنّعيم"<sup>87</sup>.

كانت هذه محطات لبعض صور الطّباق والمقابلة التي تعتبر من أهم الوسائل المولدة لدينامية النصّ ونموه، والعاكسة لجذلية التّضاد والتّقابل بين كتلتين أو طرفين؛ حاول من خلالها العقّاد إثبات حجاجية مقالاته، ليتبيّن أخيراً أهميّة الأساليب البلاغية وخاصة البيان في المدونة؛ والتي توفّرت على خاصية التبدّل والتغير من دورها لأداء أغراض بلاغية إلى تحقيق أهداف تواصلية، وإنجاز مقاصد حجاجية.

### الخاتمة:

في الختام، يتوجّب استعراض أهم النتائج المتوصّلة إليها، والتي يمكن إيجازها في النقاط التالية:  
- يُعتبر الحجاج عنواناً كبيراً لممارسات فكرية نشيطة، والعمل الحجاجي هو الذي يستوفي كلّ الشروط المؤدّية للإقناع من خلال أسلوبية الوسائل اللغوية والبلاغية.

- عنى العقّاد إلى إحداث تغييرات في العقائد والسلوكيات والمواقف والتّصورات بفضل الأفعال الكلامية التي عملت على إنجاز أفعاله، فأعطت المقالات صبغة تأثيرية إقناعية بفضل تمحورها في الأصناف اللغوية المختلفة، والتي عكست من ناحية أخرى سلوك العقّاد وأحاسيسه من خلال بيان وجهة نظره

للأشياء، فكانت قضاياها معروضة بطريقة إقناعية تأثيرية هادفة لاستمالة المخاطب حتّى يكسب خطابه استمرارية عملية وحركية تواصلية، وحبّة فعلية ثابتة تكون شاهدةً على درجة إتقانه اللغوي والفكري المنطقي ولتساهم في تداولية مقالاته.

- كشف البحث النّقاب عن بعض الآليات اللغوية الحجاجية التي تضمّنتها المقالات حيث نقلت الروابط الحجاجية الملفوظ من بنية الإخبار إلى بنية الحجاج، كما عملت العوامل الحجاجية على ديمومة القضية المطروحة ومساندتها في الخطاب، أما السّلم الحجاجي فعمل على التسليم بالنتيجة من خلال الانسجام بين الحجج عبر مساراتها التصاعديّة وصولاً للنتيجة.

- تكلم العقّاد بقصد التأثير، لذلك اعتمدت مقالاته أسلوب الحجاج البلاغي، فوردت الاستعارة في المقالات حجاجية نقلت المتلقي من المجرّد إلى المحسوس؛ فعملت على الاستدلال والقياس لتحقيق الإقناع، كما كان للتشبيه والكناية دور في الكشف عن البعد المضمّر في الخطاب عن طريق استثمار البعد الإيحائي المؤثر في المتلقي.

- شكّلت لغة العقّاد الفنيّة حقلاً واسعاً للدراسة؛ فكان لبنية البديع دورها في تلقي الخطاب وفهمه ومدى قدرتها على حمل أفكاره وتصوّراته، كما نلاحظ موازاة مع ذلك التوظيف المكثف لأسلوب التوكيد بغية توكيد الفكرة وإثباتها وتثبيتها عند المتلقي.

- وفي الأخير؛ يمكن اعتبار فنّ المقالات فنّاً أدبيا ذا طبيعة حجاجية إقناعية، وأنّ مقالات العقّاد لم تحد عن هذه العقيدة، فاتّصفت في ذلك بالتكوين الفني الجميل وحيوية العرض، والإقناع والإمتاع بغية جذب القارئ أو المتلقي والتأثير فيه؛ فكانت حجاجية نظريا وتطبيقيا.

## - الهوامش

<sup>1</sup> - ابن منظور محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة (حجج)، مج2، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان، 1997، ص28.

<sup>2</sup> - ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، ج2، ط1، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1991، ص30.

<sup>3</sup> - علي بن محمد الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، تحقيق عبد الرحمان عميرة، ط1، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1987، ص73

<sup>4</sup> - le grand robert , dictionnaire de la langue françaises, 1<sup>er</sup> redaction, paris, 1989, p535.

<sup>5</sup> - Cambridge advanced learners, dictionary, 2<sup>ed</sup> published, cambridge university press (England), 2004, p 56

<sup>6</sup> - طروس محمد، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء المغرب، 2005، ص 06

<sup>7</sup> - طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط2، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2000، ص65

- 8 - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ط1، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، 2004، ص456.
- 9 - أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ط2، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2009، ص21
- 10 - عشير عبد السلام، عندما نتواصل نتغير، مقارنة تداولية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، المغرب، 2006، ص12
- 11 - مثني كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ط1، كلمة للنشر والتوزيع، أريانة، تونس، دار ومكتبة عدنان بغداد، العراق، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ومنشورات ضفاف، بيروت، 2015، ص71
- 12 - أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، مرجع سبق ذكره، ص55
- 13 - عباس محمود العقاد، يسألونك، د.ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2013، ص36
- 14 - عبد الهادي بن ظافر الشهري، مرجع سبق ذكره، ص472
- 15 - عباس محمود العقاد، مصدر سبق ذكره، ص134
- 16 - المصدر نفسه، ص157
- 17 - رشيد الراضي، الحجاج والمغالطة من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، ط1، دار الكتاب الجديد، بنغازي، ليبيا، 2010، ص52
- 18 - أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، مرجع سبق ذكره، ص63
- 19 - عباس محمود العقاد، مصدر سبق ذكره، ص24
- 20 - المصدر نفسه، ص158
- 21 - رشيد الراضي، "الحجاجيات اللسانية عند انسكومبر وديكرو"، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد 34، ع1، سبتمبر 2005، ص234
- 22 - أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، مرجع سبق ذكره، ص27
- 23 - عباس محمود العقاد، مصدر سبق ذكره، ص25
- 24 - مثني كاظم صادق، مرجع سبق ذكره، ص114
- 25 - عبد الهادي بن ظافر الشهري، مرجع سبق ذكره، ص519
- 26 - عباس محمود العقاد، مصدر سبق ذكره، ص195
- 27 - المصدر نفسه، ص39
- 28 - أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، مرجع سبق ذكره، ص20
- 29 - عباس محمود العقاد، مصدر سبق ذكره، ص25
- 30 - المصدر نفسه، ص137
- 31 - حسان الباهي، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، إفريقيا الشرق (الدار البيضاء، المغرب)، 2004، ص123.
- 32 - نوارى سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي، ط1، بيت الحكمة، العلمة، الجزائر، 2009، ص26
- 33 - علي محمود حجي الصّراف، في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في اللغة العربية المعاصرة، دراسة دلالية ومعجم سياقي، ط1، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2010، ص51.
- 34 - نعمان بوقرة، لسانيات الخطاب، مباحث في التأسيس والإجراء، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2012، ص174
- 35 - عباس محمود العقاد، مصدر سبق ذكره، ص36

- 36 - المصدر نفسه، ص134
- 37 - نفسه، ص158
- 38 - جورج يول، التداولية، ترجمة قصي العتّابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار الأمان، الرباط، المغرب، ص90
- 39 - نعمان بوقرة، مرجع سبق ذكره، ص175
- 40 - عباس محمود العقّاد، مصدر سبق ذكره، ص23
- 41 - المصدر نفسه، ص25
- 42 - المصدر نفسه، ص196
- 43 - جورج يول، مرجع سبق ذكره، ص90
- 44 - بوقرة نعمان، مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري، عالم الكتب الحديث، أريد، الأردن، 2008، ص102
- 45 - عباس محمود العقّاد، مصدر سبق ذكره، ص133
- 46 - المصدر نفسه، ص157
- 47 - محمود أحمد نحلة، مرجع سبق ذكره، ص104
- 48 - نعمان بوقرة، لسانيات الخطاب، مرجع سبق ذكره، ص176
- 49 - محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د.ط، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، 2002، ص50
- 50 - المرجع نفسه، ص83
- 51 - عباس محمود العقّاد، مصدر سبق ذكره، ص193
- 52 - المصدر نفسه، ص158
- 53 - أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، مرجع سبق ذكره، ص49
- 54 - عادل مناع، نحو النص، اتجاه جديد في دراسة النصوص اللغوية، ط1، مصر العربية للنشر والتوزيع، مصر، 2011، ص179
- 55 - عباس محمود العقّاد، مصدر سبق ذكره، ص25.
- 56 - المصدر نفسه، ص158.
- 57 - نفسه، ص24 .
- 58 - نفسه، ص36.
- 59 - نفسه، ص157.
- 60 - نفسه، ص196
- 61 - نفسه، ص37
- 62 - نفسه، ص160
- 63 - عبد الجليل الشعراوي، الحجاج في الخطابة النبوية، ط1، عالم الكتب الحديث، أريد، الأردن، 2012، ص148.
- 64 - عباس محمود العقّاد، مصدر سبق ذكره، ص23.
- 65 - المصدر نفسه، ص36
- 66 - نفسه، ص133
- 67 - صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، 2008، ص50
- 68 - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1999، ص27 .

- 69 - عمر أوكان، اللغة والخطاب، د.ط، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، 2001، ص 134
- 70 - أبو بكر العزاوي، اللغة والخطاب، مرجع سبق ذكره، ص102.
- 71 - عباس محمود العقاد، مصدر سبق ذكره، ص25
- 72 - المصدر نفسه، ص 160
- 73 - عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن ، 2002، ص131
- 74 - الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1971، ص328
- 75 - جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، ط1، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة، مصر، ط1، 2000، ص170
- 76 - السيوطي جلال الدين عبد الرحمان، المزهري في علوم اللغة، شرح وضبط وتصحيح وتعليق محمد أحمد جاد المولى وآخرون، ج1، د.ط، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا، بيروت، 1987، ص37
- 77 - عباس محمود العقاد، مصدر سبق ذكره، ص196
- 78 - المصدر نفسه، ص23
- 79 - أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ضبط وتدقيق يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، ط1، بيروت، لبنان، 1999، ص241
- 80 - القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، راجعه عماد بسيونيز غلول، ط3، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، د.ت، ص 273.
- 81 - عباس محمود العقاد، مصدر سبق ذكره، ص25
- 82 - المصدر نفسه، ص 134
- 83 - صابر حياشة، مرجع سبق ذكره، ص51
- 84 - عباس محمود العقاد، مصدر سبق ذكره، ص 23
- 85 - المصدر نفسه، ص 135
- 86 - نفسه، ص 136
- 87 - نفسه، ص194.

## - قائمة المصادر والمراجع

### أولاً: الكتب

- 1 - أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر ط2، بيروت، لبنان، 2009
- 2 - أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ضبط وتدقيق يوسف الصميلي، ط1، المكتبة العصرية ، بيروت، لبنان، 1999.
- 3 - ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، ج2، ط1، دار الجيل ، بيروت، لبنان، 1991.
- 4 - ابن منظور محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة (حجج)، مج2، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان، 1997.
- 5 - بوقرة نعمان، مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري، عالم الكتب الحديث، أريد، الأردن، 2008 .
- 6- جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، ط1، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 2000.
- 7 - جورج يول، التداولية، ترجمة قصي العتّابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار الأمان ، الرباط، المغرب، 2010.
- 8 - حسان الباهي، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء، المغرب، 2004.

- 9 - الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتاب اللبناني ، بيروت، لبنان، 1971.
- 10- رشيد الراضي، الحجاج والمغالطة من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، ط1، دار الكتاب الجديد ، بنغازي، ليبيا، 2010.
- 11- السيوطي جلال الدين عبد الرحمان، المزهري في علوم اللغة، شرح وضبط وتصحيح وتعليق محمد أحمد جاد المولى وآخرون، ج1، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا، بيروت)، 1987.
- 12- صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر ، دمشق، سوريا، 2008
- 13- طروس محمد، التّظيرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء ، المغرب ، 2005
- 14- طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط2، المركز الثقافي العربي ، المغرب، 2000
- 15- عادل مناع، نحو النص، اتجاه جديد في دراسة النصوص اللغوية، ط1، مصر العربية للنشر والتوزيع ، مصر، 2011.
- 16- عباس محمود العقاد، يسألونك، د.ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة، مصر، د.ط، 2013
- 17- عبد الجليل الشعراوي، الحجاج في الخطابة النبوية، ط1، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، 2012
- 18- عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان، الأردن ، 2002
- 19- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق محمد الفاضلي، المكتبة العصرية ، بيروت، لبنان، 1999
- 20- عبد الهادي بن ظافر الشّهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ط1، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان ، 2004
- 21- عشير عبد السلام، عندما نتواصل نتغير، مقارنة تداولية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق ، المغرب، 2006
- 22- علي بن محمد الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، تحقيق عبد الرحمان عميرة، ط1، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1987
- 23- علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في اللغة العربية المعاصرة، دراسة دلالية ومعجم سياقي، ط1، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة، 2010
- 24- عمر أوكان، اللغة والخطاب، د.ط، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، د.ط، 2001.
- 25- القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، راجعه عماد بسيونيز غول، ط3، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت، لبنان، د.ت.
- 26- مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ط1، كلمة للنشر والتوزيع ، أريانة، تونس، دار ومكتبة عدنان ، بغداد، العراق، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ومنشورات ضفاف، بيروت ، 2015
- 27- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د.ط، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، 2002.
- 28- نعمان بوقرة، لسانيات الخطاب، ط1، مباحث في التأسيس والإجراء، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، 2012
- 29- نوارى سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي، ط1، بيت الحكمة ، العظمة، الجزائر، 2009.
- 30 - Cambridge advanced learners, dictionary, 2<sup>ed</sup> published, cambridge university press (England) , 2004
- 31 - le grand robert , dictionnaire de la langue française, 1<sup>er</sup> redaction, paris, 1989

## ثانيا: المقالات

- 32 - رشيد الراضي: "الحجاجيات اللسانية عند انسكومير وديكرو"، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت، المجلد 34، ع1، سبتمبر 2005